المسلمون المعاصرون والسلبية في مواجهة الأحداث

ما أبعد الشُّـقَّة بيـن اسـتجابة المـؤمنين مـن الرعيـل الأول للنداءات الربانية والتوجيهات النبوية التي كانت تنـزل عليهم غضة طرية فتجد آذاناً صـاغية وقلوبـاً واعيـة وأبـداناً علــى التكــاليف ســاعية وهــي راضــية، وبيــن اســتجابة المسلمين اليوم لنفس النـداءات والتوجيهـات ولكـن بفكـر مشتت ونفوس فقدت الحماسة والصدق والتصـديق بوعـد الله ووعيده، وقلوب أشربت حب الدنيا وشـهواتها فكرهـت الموت حتى وإن كان في سبيل اللـه ونصـرة دينـه والـدفاع عن أوليائه.

عن النعمان بـن بشـير رضـي اللـه عنهمـا عـن النـبي صلى الله عليه وسـلم قـال: (مثـل المـؤمنين فـي تـوادّهم وتعاطفهم وتراحمهـم مثـل الجسـد إذا اشـتكى منـه عضـو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[1].

فهذا الحديث يدل على أن المؤمن يسـوءه مـا يسـوء أخاه المؤمن مهما بعدت بينهم المسافة، ويحزنه ما يحزنـه، ولكننـا نجـد أن التطـبيق العملـي لهـذا الحـديث الشـريف يختلف باختلاف المستمعين له من السـلف والخلـف، فهـذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يـؤتى بخـبز مفتـوت بسمن عام الرمـاده، فـدعا رجلاً بـدوياً فجعـل يأكـل معـه، فجعل البدوي يتبع اللقمة إلودك - أي الدسـم - فـي جـانب الصفحة فقال له عمر: (كأنك مقفـر مـن الـودك؟)، فقـال: (أجل، ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا رأيت أكلاً له منذ كذا وكذا إلى اليوم)، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سـمناً حـتى يحيـا الناس[2].

ولقد كان الرجل من أغنياء المسلمين يقتصد في حظ نفسه ليسع ببره مائة أو مـائتين أو أكـثر مـن إخـوانه وذوي حاجته، فعاد هذا الغني - في زماننا - يتسع لنفسه ثم يتسع، حتى لا يكفيه أن يأكل رزق مائة أو مائتين أو أكثر![3].

وكان المسلمون يرون في الأزمات التي تهدد الإسلام وتهز أركانه أنه يجب ألاّ يدخر أحدٌ نفساً ولا مالاً، وقـد كـان

---

[1] متفق عليه
[2] طبقات ابن سعد 3/225 نقلاً عن كتاب سيرة عمر للطنطاويين
[3] من أقوال الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله

جمهور المؤمنين في الأيام العصيبة يتنافسون في دعم المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله، فمنهم من يخرج ماله كله كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم من يخرج شطر ماله كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنهم من يبذل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة كما كان من عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

واليوم نجد إحصاءات المنظمات الدولية تشير بجلاء إلى أن الأمة الإسلامية تجمع بين النقيضين، ففي الوقت الذي يمثل فيه المسلمون أعلى نسبة في العالم من حيث انتشار الفقر والمرض والجهل في بلادهم، يتصدر بعضهم قائمة أغنى أغنياء الأرض، ويتردد كثير من المسلمين على المصحات والعيادات الخاصة في الداخل والخارج للعلاج من السمنة المفرطة والأمراض التي أصابتهم بسببها بينما نجد أن المجاعات والأوبئة تفتك بالآلاف منهم في الدول التي تتعرض لحروب إبادة أو إهمال من المسلمين.

وشتان ما بين استجابة سلفنا الصالح لأحكام الشريعة فيما يتعلق بكل شؤون حياتهم وبين تقاعسنا نحن عن التحرك للدفاع عن حرماتنا ومقدساتنا وأحكام ديننا التي درج المشرِّعون المبدلون في إصدار قوانين تفرغها من مضمونها ثم بقوانين تضادها وتحاد شارعها الحكيم، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره فقال: "والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة في حادثة الإفك فأنزل الله تعالى: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}، فقال أبو بكر: (والله إني لأحب أن يغفر الله لي)، فرجَّع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: (والله لا أنزعها منه أبداً)[4].

إن العبرة في هذه الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهي تتناول الأمة إلى يوم القيامة، بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من أساء إليه من أهل العوز والقربى والمستحقين شرعاً لفضول أموال أهل الخير، وذلك لأن الغاية من فعل الخير هي ابتغاء مرضاة الله تعالى، وهذا قمة في تربية النفوس على العطاء فتجد

[4] متفق عليه

النفس المؤمنة الرضية تفرح بالإعطاء أكثر مما تفرح بالأخذ والكسب، ولا يتمتع بهذه النفسية الطيبة إلا ذو حظ عظيم عند الله تعالى[5].

أما الآن فقد تم تسييس المساعدات التي تقدم لقضايا المسلمين وصارت واجهة لأغراض في نفوس القائمين عليها، فإن وفّى الذين يتسلمون هذه المساعدات بالشروط التي أمليت عليهم استمر الدعم وزاد، حتى ينحرف المسار وتُبدل المواقف ويصبح ما كان من المستحيلات ممكناً ثم واقعاً ونحن لا ندري السر في ذلك، ولكن اسألوا الاقتصاديين وأرصدة البنوك، حتى أصبح القانون للحكم على جماعة من الجماعات هو: " قل لي من يمولك أقل لك من أنت "، فإن أبوا إلا الاستمرار على نهجهم الجهادي وهدفهم الأساسي وهو تحكيم شرع الله شنت عليهم حرب شعواء إعلامية وقطعت عنهم المساعدات وفضحوا بما استلموه من أموال.

يقول صلى الله عليه وسلم: (لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل مظلوماً، فإن اللعنة تنزل على كل من حضر حين لم يدفعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفاً يُضْرب فيه رجل ظلماً، فذكر مثله)[6].

وفي سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استعمل سعيد بن عامر رضي الله عنه على حمص فشكوا لعمر أنه يغنط الغنطة بين الأيام - أي يغمى عليه ويغيب عن حسّه - فقال له عمر: (ما تقول؟)، قال سعيد: (شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بصّعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أنّ محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة؟ فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنطة)[7].

والموقف لا يحتاج إلى تعليق، ونحن على النقيض يشاهد بعضنا على شاشات التلفاز وشبكة الانترنت ما يحدث في الشيشان وكوسوفو وكشمير وغيرهما حيث

---

[5] تفسير سورة النور للدكتور محمد علي الحسن

[6] رواه الطبراني والبيهقي بسند حسن

[7] حلية الأولياء 1/245، وابن عساكر 6/147 نقلاً عن كتاب سيرة عمر

تُشن حرب إبادة للمسلمين وكأننا نشاهد فيلماً أمريكياً مرعباً أو عن الهنود الحمر.

يقول أحد العلماء: ("عنوان المذابح في الشيشان" تألفه الأعين في صحفنا العربية، ونظرت للقراء الذين يطالعون الصحف، والجمهور الذي يسمع الإذاعة، فما وجدت جبيناً مقطباً ولا عيناً دامعةً، ولا تعليقاً محزوناً! إنهم يقرؤون أخباراً لسكان كوكب آخر، إن الغزو الثقافي نجح أتم نجاح في إماتة الأخوة الإسلامية، وإهالة التراب عليها) اهـ

وصدق والله فنصرنا لقضايا المسلمين أصبح مرتبطاً بالتحرك الرسمي للدول وبالقدر الذي تحدده السياسة الخارجية وعدم إغضاب القوات الاستكبارية ومن بينها روسيا الملحدة حتى صرنا نسمع وصف المجاهدين بـ"المتمردين"، وننتظر أن يقوم فلان أو فلان بإعلان يوم للبوسنة أو لكوسوفو أو للشيشان فتنهال التبرعات الرسمية وغير الرسمية في هذا اليوم فقط لنصرة القضية ثم ينتهي اليوم ويعود الجميع لسيرتهم الأولى ويتركون الدُّب يتم الإجهاز على الفريسة.

فما سمعنا أن هناك من قام بعمليات عسكرية ضد مصالح روسية أو هندية مثلاً انتقاماً لما تقترف أيديهم ضد إخواننا المسلمين، ولا سمعنا فتوى من كبار العلماء - إلا من النذر اليسير - بضرورة الجهاد للدفاع عن أراضي المسلمين وأرواحهم وممتلكاتهم، وللأسف فإنها إن صدرت لم يصحبها تطبيق عملي - غالباً - من المفتي ليحفز الآخرين على الإقتداء به.

ورحم الله هاشم الرفاعي إذ يقول:

قد أغمض القوم أجفاناً مقرّحة على الهوان وإن كانوا ذوي عددِ
شعبٌ تلذ له أسياف قاتله حمراً، وتطربه ترنيمة الصفدِ
وقد أراه وسوط الذّل يلهبُهُ فلا يُحسنُ، ولا يرثى لمضطهدِ

ولا حتى تحركنا تحركاً سلبياً من قبيل الدعوة إلى مقاطعة منتجاتهم التي تصدر لبلادنا وأوقفنا التعامل مع المنتمين لهذه البلاد المحاربة لدين الله، والمؤسف أن

كثيراً من منتجاتهم التي نستوردها ونشتريها بأموالنا لندعم اقتصادياتهم بها ونساعدهم على قتل إخواننا هي سلع كمالية أو غير حيوية ويمكن إما الاستغناء عنها كليةً أو إنتاجها في بلادنا أو حتى استيرادها من دول لا تفعل فعلهم.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل إن الكثير من المسلمين يقاتلون من أجل الحصول على تأشيرة الذهاب إلى دول أئمة الكفر ويتزوجون من بناتهم وينصهرون في مجتمعاتهم ويخدمونهم بكل إخلاص وتفان!

فالفلسطيني يذهب إلى الولايات المتحدة راعية الكيان الصهيوني في فلسطين ويتزوج أمريكية ليحصل على الإقامة ثم الجنسية، والأفغاني أو الطاجيكي يذهب إلى روسيا التي كانت السبب في دمار أفغانستان واستمرار الحكم الكافر في طاجيكستان وتشن حرب إبادة ضد المسلمين الشيشان ومن قبل دعمت بكل الوسائل العدوان الصربي - ولازالت - على البوسنة وكوسوفو وغيرهما!! هذا على المستوى الخارجي.

أما في الداخل فالمصيبة أعم وأطم، ولكن لا ينتبه لها كثير من الناس لأن الذبح يتم بغير سكين وبدون إراقة دماء، ولكنه إراقة لأحكام الدين ومسلماته، وتحليل لما حرمه الله، وتحريم لما أحل الله بقوانين كفرية مقننة تندرج في كل دستور من الدساتير من مخالفات لأحكام عدة خاصة بالمعاملات الدولية والسياسة العامة للحكومة ومصادر الدخل وغيرها من المسائل لتصل في نهاية المطاف إلى سلخ القوانين كلية من الدين والحكم بما يرضي أساطين الكفر والسلاطين، وما قانون الأحوال الشخصية الذي أقره "مجلس التصفيق" في مصر إلا شاهد على طبيعة المعركة، وإلى أي حد تردى حال المسلمين فيها، حيث لم يتحركوا للدفاع عما بقي من قوانين تحفظ كيان الأسرة ووحدتها وتزن الأمور بميزانها الذي وضعه الله لها من قوامة الرجل على المرأة ومسؤوليتة عن زوجته وأولاده وسلطته عليهم بما يضمن بقاء القيم والأخلاقيات وحفظ الأعراض والأنساب.

سنة كاملة والقانون معروض للمناقشة والإقرار والشعب لاهٍ في شهواته ومتمسك بالحياة الذليلة التي يحياها وكأن الأمر لا يعنيه وهذه القوانين ستصدر لتطبق في بلد آخر!

نرى كل الموبقات ترتكب جهاراً نهاراً في المنتديات العامة وفي الطرق، فلا يتمعر وجه الناس ولا ينتقم أحد لحرمات الله التي تنتهك! قذف الله في قلوبهم الرعب من أعدائهم ونزع المهابة من قلوب أعدائهم منهم فأصبحوا لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً.

قيل لابن مسعود رضي الله عنه: (من ميت الأحياء؟ قال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً)[8].

تنتزع منا كل ممتلكاتنا وتنتهك أعراضنا وحرماتنا فلا نرفع كفاً ولا نطرد لصاً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قاتل دون مالك، أو تُقْتل فتكون من شهداء الآخرة)[9].

ويقول صلى الله عليه وسلم: (ما من مسلم يُظلْم مظلمةً، فيقاتل، فَيُقْتَل، إلا قتل شهيداً)[10].

وحتى المقاومة السلبية للمنكرات والتي تتمثل في هجران أهل المعاصي والإنكار عليهم باليد أو اللسان أو حتى بالقلب، حتى هذه قليل منا من يفعلها بقدر استطاعته.

يقول صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسُنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[11].

وهذا في الأمراء الذين لم يبدلوا شرع الله ولا شرّعوا قوانين تحاد الله ورسوله وتهلك الحرث والنسل، وإنما خالفت أقوالهم أفعالهم، ويفعلون من المنكرات ما نهوا عن فعله وهؤلاء الذين قال فيهم العلماء:إن تغيير منكر الأمراء باليد لا يستلزم القتال، وقد نص أحمد على ذلك فقال التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح، فحينئذ جهاد الأمراء باليد أن يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات مثل أن

---

[8] فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية 28 /127

[9] صحيح رواه أحمد والطبراني عن مخارق رضي الله عنه

[10] صحيح رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

[11] رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

يريق خمورهم أو يكسر آلات اللهو التي لهم أو نحو ذلك، أو يبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له قدرة على ذلك، وكل ذلك جائزٌ[12].

أما الحكام الذين يبدلون شرع الله ودينه ويحمون باطلهم وألهتهم التي يدعون من دون الله بقضهم وقضيضهم فليس لهم إلا السيف مصلتاً، فمن تقاعس من المسلمين في ذلك أو شك فيه وثبط الآخرين عن القيام بواجبهم في جهادهم، فإنما هو مريض بالشرك إن كان يقرهم على ما هم فيه ويواليهم عليه، أو مريض بالذنوب إن كان يفعل ذلك ليلتمس العذر لنفسه ويدرأ تهمة الجبن والخور عن جبينه، أو يريد الركون إلى الحياة الدنيا ويسلم من الأذى وليس بناجٍ.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لبعض الناس: (لو صحَحْت لم تخف أحداً)، أي خوفك من المخلوق هو مرضٌ فيك، كمرض الشرك والذنوب[13].

فعلينا مراجعة أنفسنا وكفى استهانة بدين الله وركوناً إلى الدنيا واستمساكاً بها، فعلام نحرص على حياة لم يعد لنا فيها وزن ولا كرامة، وعلام الطاعة لأقوام لم يرقبوا في دين الله عز وجل ولا أولياء الله إلاًّ ولا ذمة، فإن ضاقت على المسلم بقعة من الأرض لم يستطع أن يعبد الله فيها بحق وتكون كلمة الله فيها هي العليا فعليه بالهجرة "من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنون من فعل ما أمر الله به، ومن هذا قوله تعالى {والرجز فاهجر}، فإن لم يستطع وكان من المستضعفين فعليه الاعتزال في شعب من الشعاب أو في القرى أو البادية والهجر على وجه التأديب، وهو هجر من يظهر المنكرات، يهجر حتى يتوب منها... فهنا الهجر بمعنى التعزير، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات، وفعل المحرمات، كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع"[14].

---

[12] انظر جامع العلوم والحكم عند شرح حديث " من رأى منكم منكراً فليغيره...".
[13] الفتاوى 10 /100
[14] الفتاوى 28 /204 - 205

إن العقوبات الإلهية التي حلت بمجتمعاتنا إنما هي نتيجة انتشار الموبقات والخبائث وفشو الفساد وعدم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وهذا ينذر بعذاب أشد وما الأزمات الاقتصادية التي تمسك بخناقنا، وتَحكُّم أرذل خلق الله في مقدساتنا ورقابنا إلا من هذا الباب، فعلينا بسرعة العودة والإنابة إلى الله والقيام بفريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد فـ " التؤدة في كل شيءٍ خيرٌ، إلا في عمل الآخرة"[15].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عن مجلة المجاهدون

منبر التوحيد والجهاد

* * *

sw.dehwat.www//:ptth
ten.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

[15] صحيح رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن سعد رضي الله عنه

موقعنا على الشبكة

sw.dehwat.www//:ptth
moc.esedqamla.www//:ptth
ofni.hannusla.www//:ptth
moc.adataq-uba.www//:ptth

منبر التوحيد والجهاد
sw.dehwat.www
moc.esedqamla.www
ofni.hannusla.www
moc.adataq-uba.www